رسالة مسجد باريس والدور التوعوي والتربوي للنخبة الجزائرية المهاجرة بفرنسا 1926/ 1954

The message of the Paris Mosque and the awareness and educational role of the Algerian immigrant elite in France 1926/1954

خيرة المهدي هجالة[1]*، الصادق دهاش[2]

[1] مخبر التاريخ والحضارة والجغرافيا التطبيقية جامعة لونيسي علي (البليدة02) الجزائر

ek.elmehdi- hedjala@univ-blida2.dz

[2]جامعة لونيسي علي (البليدة02) (الجزائر)، dahache09saddek@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2023/04/07 تاريخ القبول: 2023/06/22 تاريخ النشر: 2023/08/20

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز رسالة مسجد باريس ومهمته في أوساط المهاجرين الجزائريين فترة الاستعمار الفرنسي، ورصد دور النخبة الجزائرية المهاجرة بفرنسا، وعليه ارتأينا طرح الإشكال التالي: هل حقّق مسجد باريس الوظيفة التربوية للمهاجر الجزائري وكيف سعت النخبة الجزائرية المهاجرة بفرنسا في اضفاء طابعها السياسي والديني خلال 1926/ 1954؟ وللإجابة على ذلك اعتمدنا المنهج التاريخي الوصفي والتحليلي، وأسفرت أهم النتائج عن كون مسجد باريس كان كمؤسسة دينية تضمر عراقة فرنسا الحضارية، وتعكس الشخصيات المسيّرة للمسجد.

كلمات مفتاحية: مسجد باريس، فرنسا، المهاجرون، مستشرق، الحي اللاتيني.

Abstract:

This study aims to clarify the message and mission of the Paris Mosque among Algerian immigrants during the French colonial period, and to monitor the role of the Algerian immigrant elite in France .and from it we ask the following problem: Did the Paris mosque fulfill the educational function of the Algerian immigrant and how did the Algerian immigrant elite in France endeavor to give its political and religious character during 1926/1954? In order to answer this, we relied on the historical descriptive and analytical method, and the most important results resulted that the Paris Mosque was a religious institution that embraced France's civilized heritage.

Keywords: Paris Mosque; France; immigrants; Oriental; Latin Quarter.

.

*المؤلف المرسل خيرة المهدي هجالة

1. مقدمة:

تقوم المؤسسات الدينية التربوية والثقافية بإعداد الناشئة، فتهتم لتربيتها التربية السليمة، وباعتبار المسجد مقر إعلان العبودية للخالق، وفيه تتم أداء العبادة، وتنشر فيه بعض العلوم لم يكن بالشيء الهيّن عند المهاجرين الجزائريين إنشاء مؤسسة دينية بباريس سنة 1926 يديرها السيد بن غبريط إلى غاية 1954، ففي هذه الفترة نحاول علاج بحثنا، وفي باريس التي كانت تمثل مدينة العلوم والفنون، وعلى أرضها أين توافد المهاجرون من كل حدب وصوب.

إنّ العلاقة بالمكان فرضت تقاليد ومؤثرات ثقافية، وبيئية، فتهدف هذه الدراسة إلى معرفة مهمة مسجد باريس خلال الفترة التاريخية المحددة سابقا، وتوضيح الغاية من بنائه مع ابراز ردود الفعل للنخبة الجزائرية السياسية والدينية، وتبيين أهم الأعمال التي قامت بها في فرنسا، ومنه ارتأينا طرح الإشكال التالي: هل حقّق مسجد باريس الوظيفة التربوية للمهاجر الجزائري وكيف سعت النخبة الجزائرية المهاجرة بفرنسا في اضفاء طابعها السياسي والديني خلال 1926/ 1954؟ ومنها تندرج عدة استفسارات:

هل كان الفكر الإسلامي يمتلك ما يثبت انتباه الفرنسيين في تلك الفترة لإنشاء مسجد بباريس؟ كيف كان شكل هذا المسجد؟ هل أثّر من بعيد أو قريب في المهاجرين الجزائريين؟ وهل كان المسلمون الجزائريون قادرين على مواجهة المبادرات والمخططات الفرنسية؟ وللإجابة على ذلك اعتمدنا المنهج التاريخي الوصفي، والمنهج التحليلي.

2. مسجد باريس ووظيفته

2. 1فكرة تأسيس مسجد باريس وتمويله:

تعود فكرة إنشاء مسجد باريس إلى أحد خلفاء الدولة العثمانية وهو "السلطان عبد الحميد الثاني"[1] حسب قانون 1920/06/19 [2]، وأشار"الجندي أنور" في كتابه الذي تحدث فيه عن السلطان

[1] أنور الجندي، (1407هـ) ، ص.76.

[2] "La loi du 19/06/1920 et la Grande Mosquée de Paris Source : https://top-halal.fr/mosquee-de-paris , 21- 12-2021,21h.40

إلى الدكتورة الماولتن التي تطرقت إلى تحدي السلطان عبد الحميد للعالم الغربي حسب قوله:"يجب أن لاندع الغرب يبهرنا، فإنّ الخلاص ليس في المدنية الأوربية وحدها"، وبهذالاقت هذه الدعوة أصداء واسعة رغم المسافات البعيدة[1].بينما يرى صادق سلام في مضمون انشاء المسجد على أنّ اللجنة الإسلامية نظمت زيارات إلى المساجد التي فتحت بألمانيا في القرن التاسع عشر، فشجعت الأسرى على ممارسة الشعائر الدينية، وتم افتتاح مسجد جديد في احتفال مهيب، وكانوا يحتفلون فيه بالأعياد الدينية [2]،وبالتالي راحت فرنسا تشيّد بدورها المسجد لجذب المسلمين إليها، وكان ذلك عندما كان الصراع على أشده بين فرنسا وألمانيا.

وفي غضون ذلك احتفظت السلطات الفرنسيةّ بفكرة التأسيس تكريما لتضحية عشرات الآلاف من الأشخاص المسلمين الذين ماتوا خلال الحرب العالمية الأولى- ولا سيما في معركة فردان (1916) - لتحرير فرنسا، ولإعطاء مضمون لهذه الفكرة نص قانون 19 أغسطس 1920 على منح ائتمان قدره 500.000 فرنك لجمعية الحبوس، وتم في عام 1917 تأسيس المعهد الإسلامي للمسجد، فلم يكن إلا لمدينة باريس أن تتبرع بالأرض التي يقف عليها المبنى لإنهاء المشروع على الرغم من قلة الأموال المخصصة لها في البداية أثناء تصويت مجلسي البرلمان الفرنسي عام 1920[3]،وقدّمت كل من حكومة الجزائر والمغرب100.000فرنك،بينماقدمت تونس 60.000 فرنك، والحكومات الاستعمارية الفرنسية لإفريقيا، وآسيا 60.500 فرنك، وتبرع باي تونس بمنبر للجامع على أساس منبر جامع القرويين، وكان الاحتفال ببداية حفر أسس محراب جامع باريس يوم 19 أكتوبر 1922، وتم تدشينه يوم 15 يوليو 1926 [4].

[1] نفس المرجع،ص101

[2] صادق سلام، (2012) ، ص 200.

[3] المرجع السابق La loi du 19/06/1920 et la Grande Mosquée de Paris

[4] عبد اللطيف الحناشي، (1430هـ) ، ص 171.

وإضافة لذلك يشير الحناشي استنادا على الأرشيف التونسي أنّ "ابن غبريط"(1868- 1954) قال:"أن المقيم العام الفرنسي بتونس[1]تحدث مع يوسف اللقرو عامل الأعراض إحدى مناطق الجنوب الشرقي من البلاد التونسية، فوجدت الفكرة ترحيبا من الوزارة الخارجية الفرنسية، فتم تشكيل لجنة لبناء ذلك المسجد، وبلغ صداها في مصر، والدولة العثمانية، فقدم السلطان عبد الحميد الثاني (مليون) من الفرنكات كهبة"[2]،وبناء عليه تأسس المسجد، وكان"قدور بن غبريط" الشخصيّة الفعلية التي وقفت وراء هذا المشروع من الجانب المغاربي، فتولى إدارة المسجد منذ سنة 1922م حتى سنة 1954م، ومن أهم الأدوار التي قام به خلال الحرب العالمية الثانية أنّه آوى اليهود، وبذل الحماية لهم، وتقدر الباحثة الجزائرية ناجية بوزعران أنّ عدد اليهود الناجين من قبضة النازيينً بلغ عددهم ألف وستمائة يهودي بعد قبضة النازيين، وبعد وفاة قدور بن غبريط، خلفه ابن أخيه أحمد بن غبريط[3].

وكما أهدت الدولة التونسية في الأربعينيات من القرن العشرين لدى افتتاح المسجد أول منبر، فتولى إمامة مسجد باريس شيخ من شيوخ الزيتونة وهو الشيخ (معاوية التميمي)، وهو من كبار علماء تونس وفقهائها، فقد ترك أطيب الأثر لما عرف به من تفتح وأصالة، وعلم غزير تشهد على ذلك صلاته الواسعة بمختلف مكونات المجتمع الباريسي: مسلمين وفرنسيين[4].

وبعد التأسيس زارت شخصيات سياسية إسلامية مسجد باريس، وموّلته فنذكر منها على سبيل المثال: رئيس الوزراء السوري الذي قدّم 20 ألف فرنك للجمعية، وشاه ايران الذي قدّم مصحفا يعود لثلاث قرون خلت، وإضافة لذلك قدّم أيضا سجادا كبيرا حينما زاره سنة 1949[5].وأمّا عن المهاجرين

---

[1]نفس المرجع، ص168.

[2] نفس المرجع، ص172.

[3]محمد الغمقي، (2014) ، ص41.

[4] محمد صلاح الدين المستاوي، (2017). "مسجد باريس معلم ديني وحضاري يشع على فرنسا منذ ما يقارب قرن".
https://www.mestaoui.com ›،تم الولوج في :20-12- 2021على الساعة00 .21h

[5]الحناشي، المرجع السابق، ص 179.

الجزائريين فطلب منهم جمع الاشتراكات لبناء هذا المسجد، ولكن الكثير من الناس كانوا غير موافقين، لأن الاشتراك المطلوب وقتئذ كان فوق الطاقة المعيشية لأرباب الحوانيت الصغار[1].

وفي واقع الأمر جلبت نسبة الهجرة المتزايدة الحاجة لإنشاء مسجد بباريس، فموّل بأموال أجنبية وجزائرية، ولم يسعى على أبناء تلمسان سوى التبرع بمبالغ كبيرة بدافع من الخوف، ولم يقتنعوا بالبناء بسبب إرسال جنود من شمال إفريقيا ليقاتلوا إخوانهم في سوريا، وحتى التبرعات التي كانت موجودة في الهند رأى بذلك حميد الله أن صورة فرنسا أصبحت سيّئة جدا بعد عمليات القصف على سوريا[2].

وبالرغم من ذلك تواجد المسجد في قلب الحي اللاتيني بالدائرة (الخامسة)، المتضمن لأشهر المؤسسات العلمية مثل جامعة السوربون، والمكتبات المتخصصة، ومعهد العالم العربي[3]. فكانت باريس محطة العلم من جهة، ومن جهة أخرى كانت تستقدم إليها العمال الفقراء من جميع الأقاليم الفرنسية، ثم تتركهم بلا ناصر ولامعين، وسميت منازلها بمنازل الحبال "وتواجد فيها منازل لإيواء البائسين، وفيها حبالًا يضع عليها ثيابهم، ثم ينامون على البلاط، ويدفعون الثمن بأجر مقبول.[4]

ومع ذلك تشكّل المسجد، واحتوى مئذنة مغطاة بالبلاط الأخضر والأبيض، والتي بني نمطها كصومعة مسجد جامع الزيتونة العريق بتونس، ويغلب الطابع الأندلسي على الهندسة المعمارية للمسجد المستوحاة من الفن الأندلسي بمدينة فاس المغربية، وتلمسان الجزائرية، وتجلى ذلك خاصة في النقوش التي تغطي جدران هذا الصرح من الداخل، وخاصة في مستوى البهو الكبير خارج قاعة الصلاة على مبنى الحديقة، وغلب على هذه النقوش اللون الأزرق، وتم استخدام اللون الأخضر لتزيين شرفات البهو الذي تتوسطه نافورة جميلة، كما تمت تغطية البهو بمادة بلاستيكية بيضاء حتى يتم استغلاله كمكانً للصلاة يوم

[1] الحاج مصالي، (2007)، ص142.
[2] سلام، المرجع السابق، ص203.
[3] الغمقي، المرجع السابق، ص40.
4 زكي مبارك ، (2012) ،ص38.

الجمعة، وبه ثرية تزن 300كغ، وعلى يمين المحراب يوجد منبر قديم كان قد قدمه الملك فؤاد ملك مصر كهدية حين وضع حجر الأساس [1].

واحتوى المسجد أيضا على مقهى عربية وإسلامية تعزف فيها الموسيقى الشرقية ويلتحق بها مطربون من تونس، ومن بغداد، ومن الإسكندرية، فينجذب الناس إلى هذه المقهى لعدة أسباب :منها القهوة التركية البديعة، ومنها الشاي المنعنع[2].وعلى وجه الخصوص يوضح زكي مبارك أنّ أهل باريس لا يخجلون من شيء فيقول: "ولكني لأحسبهم مع ذلك يفهمون أن من السائغ المقبول أن تتصلب أماكن العبادة أجنحة دنيوية خَطِرَة يجري فيها اللهو واللعب مهما قيل إن الغرض منها شريف، وإنّه لا يقع فيها إلا اللهو المباح" [3].

2.2 مهمة مسجد باريس:

قبل التطرق للحديث عن مهمة مسجد باريس يمكننا أن نشير إلى تعدد الرؤى في رغبة بنائه فهناك من كان ينظر لغاية دينية، وآخر لغاية سياسية، وفي هذه الحالة نذكر موقف بعض المستشرقين كموقف المستشرق الفرنسي سيرفش [4] الذي كان لأجل نهضة علمية دينية، ولتوعوية المهاجرين، وفي هذا الموقف يفسر الأمر بأنّ الفرنسيين قد ضاقوا ذرعا بالآداب اليونانية والرومانية اللاتينية التي ملتها نفوسهم بعد أن استوعبوها، فطفقوا يبحثون عن عوالم جديدة لم يسمعوا بها من قبل في الآداب المشرقية[5]. لذلك قال شيرفس: "ها نحن بعيدون عن مفهوم الثالوث الكاثوليكي لكي نتقربوا جدا من إله المسلمين الذي لا يدركه عقل، قريبون جدا من أطروحة الغزالي: لا يمكن للإنسان أن يتوصل لمعرفة الله من خلال معرفته

---

[1] الغمقي، المرجع السابق، ص40

[2] المصدر السابق، ص53.

[3] نفس المصدر،ص54 .

[4] سيرفش : من مواليد الفرنسيين بالجزائر سنة 1859، فقد سعى لحياة فكرية في باريس، فوضع كتابا حول علم الجمال الوضعي، وكتابا حول تاريخ العلوم، وكان من المنتمين للتيار الكونتي، وألقى عدة محاضرات في الجمعية الوضعية ، ودعا إلى قراءة القرآن، فكان يحذو لحذو كتاب التوراة، وكتاب القرآن في كل المكتبات. أنظر سلام، المرجع السابق، ص66.

[5] محمود المقداد، 1992، ص126.

لذاته، ونفسه، إنّ صفات الله لا يمكن أن تتحدد بصفات الإنسان". فهكذا كان موقف (شيرفيس) عضو لجنة مسجد باريس والذي توفي قبيل تدشينه في يوليو1926 [1].

ومن خلال معتقدات المستشرق (شيرفيس) يتبادر لنا العمل من أجل مبدأ دحض التناكر، والدعوة إلى التعاون والتّعارف، فالقيم التي تقوم على احترام الإنسان للإنسان في ذاته، وفي ذات الآخرين هي قيم تأتي بعدها القيم الروحانية أو الدينية التي هي أسمى القيم، والتي يدفع إهمالها إلى التمسك بالنزعة الأخلاقية التي تثبت قيما أخلاقية، ولكن من غير أن تمنحها أساسًا مقبولاً .[2]

وأمّا عن موقف المستشرق (لوي ماسينيون) Louis Massignon (1883-1962)فقد دعم مشروع بناء المسجد رغماً عن كاثوليكيته المتقدة والمتأثرة بالصوفيّة، فينقلب إلى مدافع عن «السكان الأصليين» خاصة مع ميله الصريح نحو المنهجيّة الاستعمارية (الذرائعيّة النفعيّة) للمقيم العام الأول في المغرب الجنرال" إيبير ليوتي" Hubert Lyautey (1854-1934)[3] .

وثمة فرضيّة أخرى مفادها أنّ فكرة إدراج مسجد باريس كانت تعد ضمن مجمل المنشآت المعروضة لفرنسا ،كما كانت تمثل أيضًا المحاولة الأولى لإضفاء الطابع الإكليلي على الإسلام ، أي لجعله تحت إدارة الدولة العلمانية [4].ولمعرفة مهمته العلمية يتعيّن علينا طرح الأسئلة التالية : هل تواجدت مكتبة بالمسجد؟ من هم أهم المعلمين الذين كانوا يقومون بمهنة التربية والتعليم بمسجد باريس وما ثقافتهم؟

دون شك من خلال انشاء المسجد لم تهمل فرنسا بناء المكتبة وذلك للتعبير عن حضارتها ومدنيتها فتواجدت مكتبة مسجد باريس واحتوت على أكثر من 3000 كتاب، ويوجد بها نسخة من القرآن يبلغ عمرها حوالي 500 عام، وعلى أنّ الإسلام يدعو أتباعه إلى التمكن من القراءة ،والكتابة لمكافحة مرض الجهل تم في 12 أغسطس 1926 افتتاح قاعة المؤتمرات والمكتبة من قبل باي تونس سيدي محمد الحبيب

[1] سلام، المرجع السابق، ص. ص 70، 71.

[2] الربيع ميمون، (1980) ،ص49.

[3] Christian Destremau, Jean Moncelon, ,(2011), p255.

[4] Mohammed Telhine, (2010),.p.p. p.14,18,20.

المعروف باسم حبيب باي (1858-1929) وأسهمت الدولة الفرنسية لفتح المجال أمام الحركات الصوفية لإدارة المسجد، وجعل المسجد أقرب للفكر الصوفي في عملية التدريس الديني داخله، وهو ما تَجَلَّى في السماح للشيخ أحمد العلاوي المستغانمي شيخ الطريقة العلاوية بزيارة المسجد، ومحاولة فتح الطريق لوجود تلك الحركة الصوفية للقيام بمهام دينية داخله بحضور ممثلين عن الحكومة الفرنسية[1] .

وفي ذلك قال المستاوي عن الشيخ العلاوي:" أنّ فرنسا التي غزت البلاد الإسلامية سيأتي زمان يعتنق أبناؤها الإسلام، فكانت تلك بشارة من وراء الغيب صدقتها الأيام، تشهد على ذلك حركة الدخول في الإسلام من طرف مئات الفرنسيين (إن لم نقل الآلاف) من كل الفئات والطبقات: فلاسفة ومفكرين ومهندسين وأطباء وفنانين ورياضيين، وغيرهم، كما تردّد على مسجد باريس شيخ الأزهر (الدكتور عبد الحليم محمود) والفيلسوف الفرنسي المسلم (رنى قنون) والشيخ (مصطفى فالسان)، والدكتور (حيدر بامات)، والأستاذ (مالك بن نبي)، والدكتور (محمد حميد الله) الذي ظل لسنوات عديدة يلقي في رحاب مسجد باريس الدروس والمحاضرات[2].

وفي هذا المجال ذكر أحمد طالب الابراهيمي اسهامات حميد الله في التعليم حيث كان يلقي محاضرات في التفسير القرآني، ومن خلال حضوره تعرّف على عدة شخصيات شكّلوا نواة "المركز الثقافي الإسلامي" من شخصية إيرانية ولبنانية وتونسية، وهندية، وأفغانية، ومالية، فروح تعاليم الإسلام تواجدت في باريس رغم ما حاكته فرنسا من مكائد، فـشرح "حميد الله" عقيدة المسلم، ووجه المهاجرين بصفة عامة، ومن بينهم الجزائريين، وما يوضح ذلك الممارسات الدينية التي كانت تمثل الإسلام بمثابة رسالات عبر العالم، وكانت بدورها هذه التشكلات تنظم حفلات كبيرة بقدوم المولد النبوي الشريف لتدارس سيرة الرسول، ومعرفة أخلاقه.[3] وما تقدم من ذكر للمستاوي، وأحمد طالب الابراهيمي عن حميد الله في مجال

---

[1] la Grande Mosquée de Paris Guide pour les Visites, http://www.guidebooky.com
تم الولوج في: 20/12/ 2021على الساعة: 21h.30

[2] المستاوي، المرجع السابق.

[3] Ahmed Taleb Ibrahimi , (2009) ,p101.

التدريس يبدو جليا أنّ التفسير القرآني يعتبر عملا أكاديميا بحتا، وهو في الوقت نفسه يبدي للتراث خدمات جليلة لأنه يفتح آفاقا جديدة للدارسين.

وقدوم هؤلاء الزوار في نظرنا ما كان إلا لقداسة مفهوم المسجد في الإسلام، والذي تطلب المفهوم الاجتماعي على أنّه مؤسسة محورية، ومؤثّرة في محورية البناء الاجتماعي باعتباره منارة ارتبطت الجمع بين مختلف شرائح المجتمع دونما استثناء أو إقصاء، كما أنار ارتباط الإنسان بربّه[1]، وذلك ما تأكد لدى الإفرنج أن أقوى رابطة بين المسلمين إنمّا في الرابطة الدينية، وأدركوا أن قوتهم لا تكون إلا بالعصبية الاعتقادية[2].

لقد كان لمسجد باريس معهدا يؤمن دروسا في قضايا الدين واللغة العربية، وكان من مهام الجمعية والعاملين بالجامع التكلف بغسل الموتى في المستشفيات الفرنسية، وتكفينهم حيث تم غسل وتكفين 140مسلما سنة 1937[3]وكما يجدر بنا أن نشير إلى أنّ الامتزاج في المسجد يتم فيه تثبيت معنى أخوة الإسلام والتركيز على ما يربط المسلم فكريًا، وشعوريًا بإخوانه المسلمين[4]، فهل كان ذلك موجودا في مسجد باريس؟ ومن ذكريات زكي مبارك نستنتج أنّ أهل الحي الواحد متعارفون بسبب تكرار رؤية بعضهم بعضاً ففي الحي اللاتيني تواجد الجزائريون ودون شك أنّه التقى بهم، ومن خلال زيارته لباريس كان يصلي في المسجد ثم ينتقل إلى القهوة [5].

فتبادر له من زيارته للمسجد معرفة السيد قدور ابن غبريط وهو يطالعهم بخطبة فصيحة بريئة من اللحن ومن الضعف كأنه السيد الببلاوي في مسجد الحسين، لقد ترك هذا الخطيب كل شيء من حياة باريس، كأن النصح فيها لا يغني ولا ينفع، وأخذ يحدثهم عن شهر ربيع الأول، وما وقع فيه من الحوادث الجسام في عهد الرسول، ولاحظ أنّ خطيب جامع باريس يملأ خطبته بالنفحات الوجدانية وهو يتكلم

---

[1] كريمة فرهي (2016). ص30.

[2] جمال الدين الأفغاني، محمد عبده، 2012، ص67.

[3] الحناشي، المرجع السابق، ص174.

[4] السدلان صالح بن غانم، دون ت، ص11.

[5] مبارك، المصدر السابق، ص54.

بطريقة خالية من التكلف، ومن اللبس ثم قرأ المصلون جميعًا دعاء شائعًا [1].و كما تبادر أيضا وفود خمسين أو ما يزيد عنها من مصلين [2]، وهذا يعني أنّ العدد قليل إذا ما قيس بعدد أفراد المهاجرين الجزائريين، فجل تجمعاتهم كانت في المقاهي إذا ما استندنا على قول مصالي فهل السبب كان في الضغط عليهم؟ أم كان المهاجرون الجزائريون غير مبالين بالمسجد؟ فكانوا يتجمعون في المقاهي، والمطاعم الشيوعية[5]،ففي المقاهي والفنادق والمطاعم الجزائرية تم تجنيد مناضلين جدد [3]. هذا ما سنوضحه في العنصر الموالي للبحث.

وللحديث عن الأهداف النفسية التي يحصل صاحبها على الراحة والهدوء الداخلي والسكينة في تلاوة القرآن ترجع هذه السكينة والطمأنينة إلى حلقات الذكر التي يحرص عليها وإقامتها مريدو عديد الطرق الصوفية، وهذا ما أشار إليه الصادق سلام: «فكانت كل من التيجانية للمغاربة والعلوية والقادرية للجزائريين، يغذون الحماسة الدينية وفيها أساليب تدريب على الحياة الروحية غير متوقعة تحت السماء الباريسية"[4].وحسب ما سبق يمكننا الإشارة إلى أهداف التواصل التي تساهم في معرفة الأشخاص ونوعية المحاضرات الملقاة للبعض لذلك استندنا على زكي مبارك في بعض الوصف، ومن خلال ذكرياته في باريس واحتكاكه بالمهاجرين، وزيارته للمسجد مثل الوضع بمقولة محمد الغزالي: طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلا لله.[5]

3. موقف النخبة ودورها السياسي والديني حول مسجد باريس:

1.3 موقف النجم ودوره السياسي:

إذا تطرقنا للنظرة السياسية حول مسجد باريس، يستدعينا الأمر لطرح التساؤلات التالية: هل كانت فرنسا تهدف من وراء هذا الدعم إقامة مسجد للمسلمين من أجل الدفاع عن مصالح المهاجرين أم

[1] نفس المصدر، ص.ص،92، 93.

[2] نفس المصدر، ص92.

[3] مصالي، المصدر السابق، ص135.

[4] سلام، المرجع السابق، ص97.

[5] مبارك، المصدر السابق 94.

أنّها كانت تريد تحسين صورتها وتنافس ألمانيا في ذلك؟ فكيف لفرنسا أن تقفل المساجد في وجه العلماء في بلدانهم؟ وتفتح لهم مسجدا بباريس؟

إنّ السياسة الفرنسية أيا كان طابعها التكتيكي، راحت تغذي بعض أفكار المستشرقين كالمستشرق الفرنسي لويس ماسينيون الذي كان يرغب بتحقيق أعمال معهد باريس بغية تحقيق بناء مسجد[1]، فكان الوحيد الذي اهتم بالنشاطات الدينية في أوساط المهاجرين[2] ،غايته الاضطلاع على أحوال المسلمين ومراقبتهم، لطالما حدّثنا (بن نبي) عنه في كتاباته فيبرز ذلك قائلا:" أدركت أن هذا الرجل يقف حاجزا أمام كل المخارج التي أحاول عبرها أن أنجو من مقرعة الاستعمار"[3]. ويقول أيضا:" أدركت أن تأثير ماسينيون منتشر في كل مكان وأنّه مداهم ومطلق"[4]، ومن خلال كلام بن نبي يلحظ أن المهاجر الجزائري متابع في كل تحركاته وأعماله، وعلى هذا الأساس كان لابد من ديمقراطية ونخبة سياسية تساير الأمور وفق منظورها السياسي.

ولعل إقامة المهاجرين الجزائريين بفرنسا استدعت الاحتكاك بين مختلف الأشخاص، وفي ذات الوقت بالسياق الديمقراطي لفرنسا، وبتصور خاص لحقوق الإنسان، والمواطنة الموروثة عن الثورة الفرنسية تكتشف حقوقا مختلفة عن تلك الحقوق التي كانت تمارس آنذاك في بلدهم المستعمَر، وهذه الإقامة سمحت باكتساب المهاجرين تجربة سياسية، ونقابية ضمن المنظمات الغربية من الكومينترن، والحزب الشيوعي الفرنسي هذا ما يتبادر لنا في هيئة (نجم شمال إفريقيا)، حيث أظهر مناضليه ردة فعل قوية على مسجد باريس، اذ استنكر النجم ذلك فدعا إلى لقاء احتجاجي، فكتبت عن ذلك جريدة (لووما نيتي) "إن المسلمين الحقيقيين كانوا في مدينة غرنوبل وندّدوا بهذا العمل حيث حضروا 2000 شخص في 14

[1] سلام، المرجع السابق، ص205

[2] نفس المرجع، ص84

[3] مالك بن نبي،(2007)،ص134.

[4] نفس المصدر،ص146

جويلية 1926 واصفين إنشاء المسجد بالتهريج ومحتجين عليه "[1] ، ومن جرّاء ذلك يبدو أنّ نداء القائد قد لاقى تلبية سريعة شاملة تمثلت في الدور التوعوي، فكان العدد الضخم 2000 مقارنة بما تواجد من عدد المصلين 50 حسب ما أشار إليه سابقا زكي مبارك ، ونقيضا للرؤية الفرنسية وضّح مصالي قائلا:" بعد التدشين طلبنا احترام المسجد على أنّه مكان للصلاة والتأمل [2].

ومن هذا الجانب يتبادر لنا أن هناك سلوك أخلاقي اجتازه مصالي في المظاهرات، فالمهاجر الجزائري كان له الحق أن يدافع على قيمه المضطهدة وعن حريته، ويتمثل هذا الموقف في اعتقادنا ويفسر لانتقال الصراع من الأسرة الجزائرية إلى فرنسا، وللثقافة الدينية المختلفة، وضعف فرنسا في التعامل مع أبناء الوطن، فمصالي الذي ينتسب إلى أسرة متواضعة اجتماعيا لم يخضع لفرنسا، ورفضه لهذا النوع من السلطة ينتج بالتالي عنه قيام مظاهرات، فيواجه بذلك تحدي إثبات هويته، وهو الأمر الذي جعل اختيار الشارع كفضاء يمنحه الحرية، والاستقلالية التي ينشدها الفرد في مثل هذه المرحلة ويطلب احترام المسجد.

وفي ضوء ما تقدم يمكن القول إنّ هذا السلوك المنتهج إلى الحالة الجماهيرية ارتأت الضرورة لإيصال فكرتها، فعد المسجد كقاعدة أولية نتج عنها من خلال الضغط ميلاد نواد تبلور فكرة التبليغ، والدعوة والوعظ والإرشاد. فاستطاعت استقطاب بعض العناصر، وعليه تبيّن أنّ السياسة الفرنسية قامت على ركيزتين: الإسلام الرسمي، وشرطة خاصة أوحت العادات الجزائرية بفرض نظام خاص بالديانة، وبفرض الرقابة على الإسلام الحر مع إمكانية اعتماد القمع ضده إذا تحوّل إلى قوة فاعلة[3]، ولهذا تمكنت النخبة السياسية من المهاجرين الجزائريين للوصول حسب ثقافاتهم التي تسمح لهم بمراجعة القيم والأعراف ضمنها واستبعاد ما هو غير صالح في ضوء الخيارات المتاحة[4].فهذا النموذج لمصالي يمثل محاولة للرد على فرنسا في نقائص القيم الأخلاقية التمثيلية، وفي ضعف تسيير الشأن العام للمسجد الذي تحتكره السلطات الفرنسية .

---

[1] سلام، المرجع الساق، ص205

[2] مصالي، المصدر السابق، ص143.

[3] المرجع السابق، ص 207.

[4] العربي صيقي،(2007) ، ص 49.

2.3 موقف الفضيل الورتلاني ودوره الديني:

من الغريب أن تتلاءم أخلاق وطباع الأشخاص في المهجر، فكانت الحاجة ما وجدُ المهاجر من مشقة بفقدها في فرنسا، وفي الحاجة التوسعة على الناس، ورفع الضيق، لذلك وجدت ثلة من العلماء نذكر منها "الفضيل الورتيلاني" (1900-1959)، ومن تلك اللّحظة كان هو حامل للرّاية الفكرية لجمعية العلماء المسلمين بفرنسا، وكان الحمل عليه ثقيلاً فإذا أشرنا للموضوع، وتقديم شذرات قليلة، قد تعيّن علينا فهم بعض الأسرار الكامنة في نجاح عمله التربوي، والإعدادي والبنائي. فنقول: التحاق العلماء به، ورغبتهم الشّديدة في نشر العلم، وملازمته العلماء واستغلال أوقاته والفرص المتاحة له للتّعلّم بأيّة وسيلة، وفي أي ظرف، وفي أيّ مكان، رغم الفرص التي لم تكن متاحة لهم في مطلع حياتهم، وكانت الظّروف تسير ضدّ الطموح والآمال المرجوة لدى البعض فانتقد بذلك بن غبريط الذي لم يرى فيه الشخص المناسب لإدارة المسجد، فذكرت جريدة البصائر على أن السيد بن غبريط يحارب العلم والدين بفرنسا فيصف دعاة الإسلام بالمغرضين، ويمنعهم من مسجد باريس ومن الصلاة في فضائه، وعلى هذا الأساس يعلن السيد مبارك الميلي استنكاره لنفوذ الاستعمار إلى مسائل الدين.[1]

ونقيضا لذلك يبيّن ابن غبريط مهمته التي فرضت عليه للتواصل مع ادارة الاحتلال كانت لغاية حل مشاكل المسلمين فيما يخص المقبرة والمستشفى[2]، وعن زيارة المسجد فقد قرّر ابن غبريط بزيارته يوميا لغير المسلمين، ماعدا الجمعة، وذلك مقابل خمس فرنكات لكل زائر، وشكلت بذلك رافدا مهما لميزانية الجامع والجمعية حيث سمح للجنود الألمان بزيارة الجامع (6000 زائر ألماني)[3] وتواجد 12ألف مترجم فرنسي يتقن اللغة العربية، وكانت مهمته تنظيم المحاضرات بتسع آلاف فرنك[4]. فذاك ما جعل (ابن نبي)

[1] مبارك الميلي، (1938)، ص2.

[2] الحناشي، المرجع السابق ص 185.

[3] نفس المرجع، ص. ص 180، 185.

[4] نفس المرجع، ص 182.

يصف المسجد على أنّه اقطاع لابن غبريط[1]، ومن خلال ذلك يتعيّن علينا طرح السؤال هل سهلت المهمة للمهاجرين الجزائريين في زيارة مسجد باريس؟ وهل استفاد المهاجرون الجزائريون من الخدمات التربوية والتعليمية لهذا المسجد في الفترة المحددة للدراسة؟

لقد وجّه بن غبريط رسالة إلى الوزارة الخارجية في باريس ذكر فيها أن المسلمين المغاربين المتعاطفين مع الحزب الشيوعي الفرنسي، يريدون نشر أفكارهم الثورية على أمل تحقيق هدفهم النهائي المتمثّل في تحرير شمال إفريقيا من السيادة الفرنسية، وأنه بتلك الروح حاولت تلك العناصر المتطرّفة اختراق مسجد باريس تحت غطاء تنظيم دروس دينية عصرية(المدارس الجديدة للعلماء الجزائريين)، وأن غرضهم هو تقويض الجهود والأعمال التي يقوم بها المسجد وتحويله إلى مكان للغليان السياسي، وأنّ تلك العناصر ذات التوجّه الشيوعي تتلقّى أوامرها من نوادي التهذيب. [2]

وفي رسالة أخرى بعثها إلى نفس الوزارة قال فيها أن وفدا مكوّنا من السادة الفضيل الورتلاني وسوري ومصري اسمه تاج، ومن اثنان أو ثلاثة مغاربيين قاموا بزيارته وطلبوا منه أن يرخّص لهم بإلقاء درس ديني في مسجد باريس يلقيه شخص منهم ومن اختيارهم، فرفض طلبهم وأجابهم أنّ العمّال والطلبة العرب والمسلمين إذا رغبوا في مثل هذا الدرس الديني فإن بن غبريط هو الذي يشرف عليه ويكلّف إمام مسجد باريس بتقديمه [3].

وكما بعث بتقرير آخر إلى وزير الدولة الفرنسي السيد ألبير صارو(Albert Sarraut) يخبره بأنّ العلماء الجزائريين يحاولون إدخال أعوانهم إلى المسجد والمعهد، مشيرا إلى أنّ مقاومته لهم جعلتهم يشنّون عليه حملة تشويه، مفادها أنه يخالف القوانين الفرنسية ويعارض مصالح الشعب الجزائري، حيث قاموا بتوزيع منشور دعوا فيه إلى إحياء الاحتفال بعيد الفطر في غابة (فانسان) بدلا من مسجد باريس، كما أبلغ مصالح الشرطة بالخبر لتفرض رقابة سرية على محيط المسجد، مبيّنا لها أن أولئك المشوّشين

[1] مالك بن نبي، (1984) (، ص 93.

[2] عبد النور آيت بعزيز، (2016)، ص 107.

[3] نفس المرجع، ص 107

يغتنمون كل فرصة لجمع التبرّعات من المسلمين، وبعد يومين منعت الشرطة الفرنسية زعماء النوادي من إقامة الاحتفالية المقرّرة في غابة فانسان وفرّقت الجمع الحاضر الذي قدّره بين مائتين وثلاثمائة مسلم[1].

إنّ فكرة إنشاء المسجد قاومتها بعض الشخصيات المهاجرة، وتعاملوا معها بحكمة ودراية ففيها كثير من التحدّي والإصرار للتّغلّب على الأسباب التي كانت تجهد أن تحطّ بهم في غير محطّة العلم، فكان لهم ما أرادوا. فساروا في مضمار العلم (تعلّمًا وتعليمًا) نذكر مثلا: إنشاء ما يزيد عن30 مدرسة وناديا لنشر الدعوة الإصلاحية[2]. إن الإشارة إلى بناء المسجد ما هو إلا "ذر الرماد في العيون"، وهو إلهاء يستخدمه المسؤولون في الدولة لتجنب مناقشة مسألة الأحوال الشخصية في الإمبراطورية الفرنسية[3].فكيف اعتمد الورتلاني سياسته الدينية؟

لقد اعتمد الورتيلاني خطا سياسيا معتدلا، وذلك لكي يتمكن من التفرغ للعمل الثقافي، فكان يشرح موقفه قائلا:" إن طلب الانضمام إلى فرنسا ليس ارتدادا عن الدين، فكان يرى قبل الحديث عن الاستقلال السياسي يجب الحصول على الاستقلال المعنوي بواسطة التعليم الديني، فطالب باستقلالية الدين الإسلامي، وتداول مع بلقاسم راجف أحد رجال" مصالي" برحيل ابن غبريط عن مسجد باريس كونه يجسد الإسلام الرسمي المرفوض من قبل المدافعين عن تطبيق قانون 1905 على الإسلام" [4]. فهذا يشير على أنّ ممثل النخبة السياسية وممثل النخبة الدينية كانت لهما نظرة واحدة اتجاه ابن غبريط، فأرادا اقالته، وعليه يمكن القول أنّ إعطاء المسجد مكانته في العالم الإسلامي لا تخيف إلا أعداء الإسلام الحريصين على الظلم والاستبداد، واستعباد الشعوب والواجب على المسلمين أن يَطمَئِنُّوا ويأمنوا مساجدهم، وأن يعيدوا لها مكانتها، لتكون عوناً لهم على صراعهم مع أعدائهم، فإن القوة التي يحصلون عليها من شعوبهم عن طريق المساجد، لا يمكن أن يحصلوا عليها من دولة أجنبية، مهما صدقت في

[1] نفس المرجع، ص109

[2] الفضيل الورتلاني،(2009)،ص4.

[3] Mameri- Chaambi. Dorra , (2016) , P 119.

[4] سلام، المرجع السابق، ص 103.

مواثيقها، وهي في الغالب لا تصدق إلا لمصلحة تعود عليها. ولذلك وحسب اعتقادنا تم إنشاء النوادي. وبهذا نجح الفضيل الورتلاني لأنّه كان مؤمنا بالله، وكان قويا تكمن قوته في عقله، وروحه، وفي لسانه وقلمه، فكان عميق الفكرة، بعيد النظرة يصقل روحه بالقرآن وكانت الخطابة من أقوى وسائله للإقناع ومن أهم أدوات النضال السياسي والثقافي والاجتماعي، فإذا خطب في النوادي والمحافل أقنع [1].وقيل أيضا أنّه ألقى خطابا ذات يوم في حشود من أبناء الجزائر بفرنسا، فتجاوبت معه البعض إلا أنّ البعض ارتفعت أصواتهم باللغة الأمازيغية تبدي الأسف من غموض الخطاب، فصعد إلى المنصة مرة أخرى، وألقى خطابا بالأمازيغية اهتزت له القاعة، فكانت الخطابة أحد العناصر البارزة التي بلغ بها الفضيل بفرنسا، وحقّق بها نجاحا ، وما زاده دعما انضمام شخصيات شرقية له، فاجتمع الشمل على احياء المسلمين وانتظموا في الحركة بدروسهم ومحاضراتهم ومنهم: (الشيخ عبد الرحمان تاج، ومحمد دراز من كبار علماء مصر، والأستاذ عمر بهاء الأميري السوري).[2]

3 خاتمة:

وفي ختام هذا البحث يمكن تلخيص أهم النتائج المتمثلة فيما يلي:

-أبرز مسجد باريس خلال الفترة المدروسة 1954/1926نوعا من الخبرة الإنسانية لدى بعض العلماء المسلمين المتواجدين من مختلف الأقطار في باريس، والذين حاولوا غرس عقيدة الإسلام في غير ديارهم وتبيين مساعيهم.

- أيا كان الأسلوب المعتمد في البناء والتشييد للمسجد ورغم ما أبدع من انجاز، فالواجب اعتماد مساعدة المهاجرين لاختيار طريقهم لا الضغط عليهم.

- أرادت فرنسا أن تعظّم منجزاتها، فأسست مسجدا بباريس كرمز ثقافي.

[1] الورتلاني، المصدر السابق، ص25.

[2] نفس المصدر، ص26.

– تمثل دور النخبة الجزائرية في مناهضة سياسة فرنسا التعليمية الدينية، وتم إعادة قراءة النتاج الفكري السياسي والديني في عدم وجود الفاعلية للمسجد في رأي جل الجزائريين المعارضين لفرنسا، فكان التصدي لتحديات الفساد بغية إعطاء أهمية قصوى للتعليم، والديمقراطية والهدف الأسمى ما هو في نظرها إلا تحقيق العدالة التي تخلو من الهيمنة الامبريالية، وبإشراك مختلف الفاعلين المعنيين بصنع السياسة الثقافية والاجتماعية الدينية وتنفيذها عكس صورة وخصوصيات النخبة المهاجرة المعنية في البحث.

وفي الأخير نوصي:

يتعيّن على فرنسا الإقلاع عن مهاجمة الإسلام والمسلمين، والمسجد ليس مجرد مكان للصلاة، بل هو مدرسة وجامعة ومركز إشعاع فكري يمكنه أن يقوم بوظائف حيوية بالغة الأهمية تؤدي إلى المساهمة في تعليم المهاجرين مع احترام السلطات للديانات، كما يمكن أن نشير إلى أنّ مهمة تسيير المسجد يتولاها الإمام الكفؤ مع تجنب الصراعات ليتضح النشاط الديني والثقافي والعلمي والاجتماعي.

5. قائمة المراجع:

المؤلفات:

– الأفغاني جمال الدين، محمد عبده، (2012)، العروة الوثقى، مؤسسة هنداوي للنشر، القاهرة

–بن نبي مالك، (1984)، مذكرات شاهد القرن، ط2، دار الفكر، دمشق

– بن نبي مالك،(2007)، العفن، ت: نور الدين خندودي،ط1، دار الأمة ، الجزائر

–الجندي أنور، (1407هـ)، السلطان عبد الحميد والخلافة الإسلامية، ط1، دار ابن زيدون، بيروت.

–السدلان صالح بن غانم، (دون ت)، الأثر التربوي للمسجد، دون ط، قسم الدراسات الإسلامية، جامعة الإمام بن سعود، السعودية

-سلام صادق، (2012)، فرنسا ومسلموها، ت زهيدة درويش جبور، ط1، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، أبو ظبي

-صديقي العربي، (**2007**)، البحث عن ديمقراطية عربية (الخطاب والخطاب المقابل)، ت: محمد الخولي وعمر الأيوبي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت

-مصالي الحاج، (2007)، مذكرات مصالي الحاج (1898-1938)، ت: محمد المعراجي، منشوراتANEP، الجزائر

- المقداد محمود، (1992)، تاريخ الدراسات العربية في فرنسا، دون ط، عالم المعرفة، الكويت

-ميمون الربيع، (1980)، نظرية القيم في الفكر المعاصر بين النسبية والمطلقية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر

-الورتيلاني الفضيل، (2009)، الجزائر الثائرة، دار الهدى، الجزائر

الأطروحات:

- آيت بعزيز عبد النور، (2016)، الشيخ الفضيل الورتلاني جهوده الإصلاحية ودفاعه عن القضية الجزائرية وقضايا التحرّر في العالم العربي والإسلامي، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية ،جامعة أبوا لقاسم سعدالله(الجزائر2)،الجزائر.

المقالات

- الحناشي عبد اللطيف، (1430هـ)."جمعية أحباس الحرمين بباريس من تنظيم رحلات الحج إلى الإشراف على جامع باريس 1916/ 1951». **مجلة الدارة**، جامعة منوبة، تونس، ع3، 147- 186

-الغمقي محمد، (2014)."مسجد باريس الكبير منارة إسلامية ثقافية في قلب العاصمة الفرنسية". **مجلة المجتمع**، الكويت، ع2068، 40- 43

-فرهي كريمة، (2016)، "رسالة المسجد"، مجلة **رسالة المسجد**، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، ع3، 29- 39

-مبارك الميلي، (1938)"أحاديث جمعية العلماء وحوادثها،"**جريدة البصائر**، قسنطينة، الجزائر، ع99.ص2.

مواقع الانترنيت:

- المستاوي محمد صلاح الدين، (2017). "مسجد باريس معلم ديني وحضاري يشع على فرنسا منذ ما يقارب قرن". تم الولوج في:20-12- 2021على الساعة 21h..00

http

- la Grande Mosquée de Paris Guide pour les Visites,

http://www.guidebooky.com

تم الولوج في: 20-12-2021على الساعة: 21h.30

-" La loi du 19/06/1920 et la Grande Mosquée de Paris Source : site de la Grande Mosquée de Paris : https://top-halal.fr/mosquee-de-paris

تم الولوج في: 20-12-2021على الساعة21h .40